ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمائة

ذكر قتل الحاكم وولاية ابنه الظاهر

في هذه السنة، ليلة الإثنين لثلاثٍ بقين من شوال، فقد الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور ابن العزيز بالله نزار بن المعز العلوي، صاحب مصر بها، ولم يعرف له خبر[1].

وكان سبب فقده: أنه خرج يطوف ليلة على رسمه، وأصبح عند قبر الفقاعي، وتوجّه إلى شرقي حلوان ومعه ركابيان، فأعاد أحدهما مع جماعة من العرب إلى بيت المال، وأمر لهم بجائزة، ثم عاد الركابي الآخر.

وذكر أنه خلفه عند العين والمقصبة، وبقي الناس على رسمهم يخرجون كل يوم يلتمسون رجوعه إلى سلخ شوال، فلما كان ثالث ذي القعدة، خرج مظفر الصقلبي، صاحب المظلة، وغيره من خواص الحاكم، ومعهم القاضي، فبلغوا حلوان، ودخلوا في الجبل، فبصروا بالحمار الذي كان عليه راكباً، وقد ضربت يداه بسيف فأثر فيهما، وعليه سرجه ولجامه، فاتبعوا الأثر، فانتهوا به إلى البركة التي شرقي/ حلوان، فرأوا ثياب، وهي سبع قطع صوف، وهي مزررة بحالها لم تحل، وفيها أثر السكاكين، فعادوا ولم يشكوا في قتله[2]. ج٧/٣٠٤/ط

وقيل: كان سبب قتله: إن أهل مصر كانوا يكرهونه، لما يظهر منه من سوء أفعاله، فكانوا يكتبون إليه الرقاع فيها سبه، وسبّ أسلافه، والدعاء عليه، حتى إنهم عملوا من قراطيس صورة امرأة وبيدها رقعة، فلما رآها، ظن أنها امرأة تشتكي، فأمر بأخذ الرقعة

---

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٤٥)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٧٣)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٤١١ هـ) (٢٣٧ ـ ٢٤٢)، (٢٨٣)، وذكره يحيى بن سعيد في «تاريخ الأنطاكي» (٣٥٩ ـ ٣٦٣).

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٧٣)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٢)، وذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٥/ ٢٩٧، ٢٩٨)، وذكره ابن ظافر الأزدي في «أخبار الدول المنقطعة» (٥٨، ٥٩).

منها، فقرأها، وفيها كل لعن وشتيمة قبيحة، وذكر حرمه بما يكره، فأمر بطلب المرأة، فقيل: إنها من قراطيس، فأمر بإحراق مصر ونهبها، ففعلوا ذلك، وقاتل أهلها أشد قتال.

وانضاف إليهم في اليوم الثالث الأتراك والمشارقة، فقويت شوكتهم، وأرسلوا إلى الحاكم يسألونه الصفح ويعتذرون، فلم يقبل، فصاروا إلى التهديد، فلما رأى قوتهم، أمر بالكف عنهم، وقد أحرق بعض مصر ونهب بعضها، وتتبع المصريون من أخذ نساءهم وأبناءهم، فابتاعوا ذلك بعد أن فضحوهن، فازداد غيظهم منه وحنقهم عليه[١].

ثم إنه أوحش أخته، وأرسل إليها مراسلات قبيحة، يقول فيها: بلغني أن الرجال يدخلون إليك! وتهددها بالقتل، فأرسلت إلى قائد كبير من قواد الحاكم ـ يقال له: ابن دواس، وكان أيضاً يخاف الحاكم ـ تقول له: إنني أريد أن ألقاك، فحضرت عنده وقالت له: قد جئت إليك في أمر تحفظ فيه نفسك ونفسي، وأنت تعلم ما يعتقده أخي فيك، وأنه متى تمكن منك لا يبقي عليك، وأنا كذلك، وقد انضاف إلى هذا ما تظاهر به مما يكرهه المسلمون، ولا يصبرون عليه، وأخاف أن يثوروا به فيهلك هو ونحن معه، وتنقلع هذه الدولة، فأجابها إلى ما تريد، فقالت: إنه يصعد إلى هذا الجبل غداً، وليس معه غلام إلا الركابي وصبي، وينفرد بنفسه، فتقيم رجلين تثق بهما يقتلانه، ويقتلان الصبي، وتقيم ولده بعده، وتكون أنت مدبر الدولة، وأزيد في إقطاعك مائة ألف دينار، فأقام رجلين، وأعطتهما هي ألف دينار، ومضيا إلى الجبل، وركب الحاكم على عادته، وسار منفرداً إليه، فقتلاه[٢].

وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وتسعة أشهر، وولايته خمساً وعشرين سنة وعشرين يوماً، وكان جواداً بالمال، سفاكاً للدماء، قتل عدداً كثيراً من أماثل دولته وغيرهم، فكاتب سيرته عجيبة، منها: أنه أمر في صدر خلافته بسبب الصحابة رضي الله عنهم، وأن تكتب على حيطان الجوامع والأسواق، وكتب إلى سائر عماله بذلك، وكان ذلك سنة خمس وتسعين وثلثمائة[٣].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٣٩)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٤١١ هـ) (٢٣٧، ٢٣٨)، وذكره ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» (٤/ ١٨٠ـ١٨٣)، وذكره يحيى بن سعيد في «تاريخ الأنطاكي» (٣٤٥ـ٣٤٨)، وذكره ابن العِبري في «تاريخ الزمان» (٧٩).

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٧٣).

(٣) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٤٧)، وذكره ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» (٤/ ١٧٧)، وذكره ابن =

ثم أمر بعد ذلك بمدة بالكف عن السب، وتأديب من يسبهم، أو يذكرهم بسوء.

ثم أمر في سنة تسع وتسعين بترك صلاة التراويح، فاجتمع الناس بالجامع العتيق، وصلَّى بهم إمامٌ جميعَ رمضان، فأخذه وقتله، ولم يصلِّ أحد التراويح إلى سنة ثمان وأربعمائة، فرجع عن ذلك، وأمر بإقامتها على العادة وبنى الجامع براشدة، وأخرج إلى الجوامع والمساجد من الآلات، والمصاحف، والستور، والحصر، ما لم ير الناس مثله، وحمل أهل الذمة على الإسلام، أو المسير إلى مأمنهم، أو لبس الغيار، فأسلم كثير منهم، ثم كان الرجل منهم ـ بعد ذلك ـ يلقاه فيقول له: إنني أريد العود إلى ديني، فيأذن له.

ومنع النساء من الخروج من بيوتهن، وقتل من خرج منهن، فشكى إليه من لا قيِّم لها يقوم بأمرها، فأمر الناس أن يحملوا كل ما يباع في الأسواق إلى الدروب، ويبيعوه على النساء، وأمر من يبيع أن يكون معه شبه المغرفة بساعد طويل يمده إلى المرأة، وهي من وراء الباب، وفيه ما تشتريه، فإذا رضيت، وضعت الثمن في المغرفة، وأخذت ما فيها لئلا يراها، فنال الناس من ذلك شدة عظيمة[1].

ولما فُقِدَ الحاكم، ولي الأمر بعده ابنه أبو الحسن علي، ولقب الظاهر لإعزاز دين الله، وأخذت له البيعة، ورد/ النظر في الأمور جميعها إلى الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي[2]. ج٧/٣٠٥/ط

ذكر ملك مشرف الدولة العراق

في هذه السنة، في ذي الحجة، عظم أمر أبي علي مشرف الدولة بن بهاء الدولة، وخوطب بأمير الأمراء، ثم ملك العراق، وأزال عنه أخاه سلطان الدولة، وكان سببه: أنَّ الجند شغبوا على سلطان الدولة، ومنعوه من الحركة، وأراد ترتيب أخيه مشرف الدولة في الملك، فأُشير على سلطان الدولة بالقبض عليه، فلم يمكنه ذلك، وأراد سلطان الدولة

= خلكان في «وفيات الأعيان» (٥/ ٢٩٣)، وذكره يحيى بن سعيد في «تاريخ الأنطاكي» (٢٥٦)، وذكره ابن أيبك الدواداري في «الدرة المضية» (٢٧٩)، وذكره ابن العِبري في «تاريخ مختصر الدول» (١٨٠).

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٠١ ـ ١٠٣)، وذكره يحيى بن سعيد في «تاريخ الأنطاكي» (٣٠٧)، وذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٥/ ٢٩٤)، وذكره ابن العِبري في «تاريخ مختصر الدول» (١٨٠).

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٧٣)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٢).

الانحدار إلى واسط، فقال الجند: إما أن تجعل عندنا ولدك، أو أخاك مشرف الدولة، فراسل أخاه بذلك، فامتنع، ثم أجاب بعد معاودة، ثم إنهما اتفقا، واجتمعا ببغداد، واستقر بينهما أنهما لا يستخدمان ابن سهلان، وفارق سلطان الدولة بغداد، وقصد الأهواز، واستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق.

فلما انحدر سلطان الدولة ووصل إلى تستر، استوزر ابن سهلان، فاستوحش مشرف الدولة، فأنفذ سلطان الدولة وزيره ابن سهلان ليخرج أخاه مشرف الدولة من العراق، فجمع مشرف الدولة عسكراً كثيراً، منهم أتراك واسط، وأبو الأغر دبيس بن علي بن مزيد، ولقي ابن سهلان عند واسط، فانهزم ابن سهلان، وتحصن بواسط، وحاصره مشرف الدولة وضيق عليه، فغلت الأسعار حتى بلغ الكر من الطعام ألف دينار قاسانية، وأكل الناس الدواب، حتى الكلاب[1].

فلما رأى ابن سهلان إدبار أموره، سلم البلد، واستخلف مشرف الدولة وخرج إليه، وخوطب حينئذٍ مشرف الدولة بشاهنشاه، وكان ذلك في آخر ذي الحجة، ومضت الديلم الذين كانوا بواسط في خدمته، وساروا معه، فحلف لهم وأقطعهم، واتفق هو وأخوه جلال الدولة أبو طاهر، فلما سمع سلطان الدولة ذلك، سار عن الأهواز إلى أرجان، وقطعت خطبته من العراق، وخطب لأخيه ببغداد آخر المحرم سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، وقبض على ابن سهلان وكحل، ولما سمع سلطان الدولة بذلك، ضعفت نفسه، وسار إلى الأهواز في أربعمائة فارس، فقلّت عليهم الميرة، فنهبوا السواد في طريقهم، فاجتمع الأتراك الذين بالأهواز، وقاتلوا أصحاب سلطان الدولة، ونادوا بشعار مشرف الدولة، وساروا منها، فقطعوا الطريق على قافلة، وأخذوها وانصرفوا[2].

ذكر ولاية الظاهر لإعزاز دين الله

لما قتل الحاكم ـ على ما ذكرناه ـ بقي الجند خمسة أيام، ثم اجتمعوا إلى أخته ـ واسمها: ست الملك ـ وقالوا: قد تأخر مولانا، ولم تجر عادته بذلك، فقالت: قد جاءتني رقعته بأنه يأتي بعد غد، فتفرقوا، وبعثت الأموال إلى القواد على يد ابن دوّاس،

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٢).

(٢) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٥١)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٢)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨).

فلما كان اليوم السابع، ألبست أبا الحسن علي ابن أخيها الحاكم أفخر الملابس.

وكان الجند قد حضروا للميعاد، فلم يرعهم إلا وقد أخرج أبو الحسن - وهو صبي - والوزير بين يديه، فصاح يا عبيد الدولة، مولاتنا تقول لكم: هذا مولاكم أمير المؤمنين فسلموا عليه! فقبل ابن دواس الأرض، والقواد الذين أرسلت إليهم الأموال، ودعوا له، فتبعهم الباقون ومشوا معه، ولم يزل راكباً إلى الظهر، فنزل ودعا الناس من الغد، فبايعوا له. ولقب:/ الظاهر لإعزاز دين الله، وكتبت الكتب إلى البلاد بمصر والشام بأخذ البيعة له، وجمعت أخت الحاكم الناس، ووعدتهم وأحسنت إليهم، ورتبت الأمور ترتيباً حسناً، وجعلت الأمر بيد ابن دواس، وقالت له: إننا نريد أن نرد جميع أحوال المملكة إليك، ونزيد في أقطاعك، ونشرفك بالخلع، فاختر يوماً يكون لذلك. فقبَّل الأرض ودعا وظهر الخبر به بين الناس، ثم أحضرته، وأحضرت القواد معه، وأغلقت أبواب القصر، وأرسلت إليه خادماً، وقالت له: قل للقواد إن هذا قتل سيدكم، وأضربه بالسيف، ففعل ذلك وقتله، فلم يختلف رجلان، وباشرت الأمور بنفسها، وقامت هيبتها عند الناس واستقامت الأمور وعاشت بعد الحاكم أربع سنين وماتت[1].

ج٧/٣٠٦/ط

ذكر الفتنة بين الأتراك والأكراد بهمذان

في هذه السنة زاد شغب الأتراك بهمذان على صاحبهم شمس الدولة بن فخر الدولة، وكان قد تقدم ذلك منهم غير مرة، وهو يحلم عنهم بل يعجز، فقوي طمعهم، فزادوا في التوثب والشغب، وأرادوا إخراج القواد القوهية من عنده، فلم يجبهم إلى ذلك، فعزموا على الإيقاع بهم بغير أمره، فاعتزل الأكراد مع وزيره تاج الملك أبي نصر بن بهرام إلى قلعة برجين، فسار الأتراك إليهم فحصروهم، ولم يلتفتوا إلى شمس الدولة، فكتب الوزير إلى أبي جعفر بن كاكويه بن جعفر، صاحب أصبهان، يستنجده، وعين له ليلة يكون قدوم العساكر إليه فيها بغتة، ليخرج هو أيضاً تلك الليلة ليكسبوا الأتراك، ففعل أبو جعفر ذلك، وسيَّر ألفي فارس، وضبطوا الطرق لئلا يسبقهم/ الخبر، وكبسوا الأتراك سحراً على غفلة، ونزل الوزير والقوهية من القلعة، فوضعوا فيهم السيف، فأكثروا القتل،

ج٧/٣٠٧/ط

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٤٧)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٤٣)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٧٣)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٢) مختصراً، وذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (٢/ ٢٧١).

وأخذوا المال، ومن سلم من الأتراك نجا فقيراً، وفعل شمس الدولة بمن عنده في همذان كذلك، وأخرجهم، فمضى ثلثمائة منهم إلى كرمان، وخدموا أبا الفوارس بن بهاء الدولة صاحبها.

ذكر القبض على أبي القاسم المغربي وابن فهد

في هذه السنة قبض معتمد الدولة قرواش بن المقلد على وزيره أبي القاسم المغربي، وعلى أبي القاسم سليمان بن فهد بالموصل، وكان ابن فهد يكتب في حداثته بين يدي الصابي، وخدم المقلّد بن المسيب، وأصعد إلى الموصل، واقتنى بها ضياعاً. ونظر فيها لقرواش، فظلم أهلها وصادرهم، ثم سخط قرواش عليهما فحبسهما، وطولب سليمان بالمال، فادّعى الفقر فقتل، وأما المغربي، فإنه خدع قرواشاً، ووعده بمال له في الكوفة وبغداد، فأمر بحمله وترك، وفي قرواش، وابن فهد، والبرقعيدي، وأبي جابر، يقول الشاعر ـ وهو ابن الزمكدم، مادحاً لابن قرواش، هاجياً للباقين ـ:

ولـيـل كـوجـه الـبـرقـعـيـدي ظـلـمـة ... وبـــرد أغـــانـــيـــه وطـــول قـــرونـــه
سـريـت ونـومـي فـيـه نـوم مـشـرد ... كـعـقـل سـلـيـمـان بـن فـهـد ودينـه
عـلـى أولـق فـيـه الـتـفـات كـأنـه ... أبـو جـابـر فـي خـطـبـه وجـنـونـه
إلـى أن بـدا ضـوء الـصـبـاح ... كـأنـه سـنـا وجـه قـرواش وضـوء جـبـيـنـه

وهذه الأبيات قد أجمع أهل البيان على أنها غاية في الجودة، لم يقل خير منها في معناها[1].

ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن معن

في هذه السنة، في ربيع الأول، اجتمع غريب بن معن، ونور الدولة دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، وأتاهم عسكر من بغداد، فقاتلوا قرواشاً، ومعه رافع بن الحسين، عند كرخ سُرَّ مَنْ رَأَى، فانهزم قرواش ومن معه، وأسر في المعركة، ونهبت خزائنه وأثقاله، واستجار رافع بغريب، وفتحوا تكريت عنوة، وعاد عسكر بغداد إليها بعد عشرة أيام.

(١) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٥٢).

ثم إن قرواشاً خلص، وقصد سلطان بن الحسين بن ثمال ـ أمير خفاجة ـ فسار إليهم جماعة من الأتراك، فعاد قرواش وانهزم ثانياً هو وسلطان، وكانت الوقعة بينهم غربي الفرات، ولما انهزم قرواش، مد نواب السلطان أيديهم إلى أعماله، فأرسل يسأل الصفح عنه، ويبذل الطاعة[١].

ذكر عدة حوادث

فيها أغارت زناتة بأفريقية على دواب المعز بن باديس ـ صاحب البلاد ـ ليأخذوها، فخرج إليهم عامل مدينة قابس، فقاتلهم فهزمهم.

وفيها، في ربيع الآخر، نشأت سحابة بأفريقية أيضاً شديد البرق والرعد، فأمطرت حجارة كبيرة ما رأى الناس أكبر منها، فأهلك كل من أصابه شيء منها[٢].

الوفيات

ج٧/٣٠٨/ط

وفيها توفي أبو بكر محمد بن عمر العنبري/ الشاعر، وديوانه مشهور، ومن قوله:

ذنبي إلى الدهر أني لم أمد يدي ... في الراغبين ولم أطلب ولم أسل

وإنني كلما نابت نوائبه ... ألفيتني بالرزايا غير محتفل[٣]

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٣١٠)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٥٢).

(٢) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٥٢)، وذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (٢/ ٢٧٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٤٨)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٤٩).